

أقليم كردستان هل يشهد وضعاً (فوضوياً) أم وضعاً (ثورياً)؟ الحلقة: 1- 3

أيوب بابو بارزاني 10.9.2023 جنيف / سويسرا

هذا إذا ما استثنينا المعاملة الاستعلائية من موظفي المطار في استنبول وأنقرة للبعض من المسافرين الكورد، كان السفر سهلاً من مدينة جنيف السويسرية الى السليمانية، على متن الخطوط الجوية التركية، لكن حكومة انقرة منذ العام الماضي أغلقت مجالها الجوي أمام الرحلات من وإلى مطار السليمانية الدولي وإلى اشعار آخر، وفي نفس الوقت تستمرّ الرحلات الجوية من وإلى مطار أربيل دون عائق.

في 23 شهر أغسطس 2023 وفي أول زيارة رسمية له إلى العراق كوزير خارجية تركيا الجديد، قال هاكان فيدان إن بلاده تتوقع أن تقوم بغداد بإدراج حزب العمال الكردستاني كمنظمة إرهابية. وقال فيدان إن المنظمة " تحتل سنجار ومخمور وقنديل والعديد من المناطق العراقية الأخرى ."

وفيما يتعلق باتهامات بغداد لأنقرة، بانتهاك السيادة العراقية وقتل المدنيين نفى الاتهامات وردّ: " إن حزب العمال الكردستاني هو الذي يهدد سيادة العراق وسلامة أراضيه. وقال فيدان: "لا يمكننا أن نبقي غير مباليين إزاء تحدي حزب العمال الكردستاني للسيادة العراقية . "وأضاف أن حماية سيادة العراق وسلامة أراضيه تظل من بين أهم أولويات السياسة الخارجية التركية.

وعقد الوزير ان هاكان فيدان وفؤاد حسين، والأخير ينتمي الى الحزب الحاكم في أربيل والمعروف بمواقفه الداعمة للسياسات التركية في العراق واحتلال إقليم كردستان بعشرات القواعد العسكرية. الوزير التركي يعرف جيداً بفضل موقعه كرئيس لـ (الميت) سابقاً والآن يشغل منصب وزير خارجية تركيا وقربه من رجب طيب اردوغان أن لديهم كثيرين من الخدم والعملاء وعلى مختلف المستويات الحزبية والوزارية والعسكرية.

وفي إشارة منه للصحفيين إلى الإدارة الذاتية الكردية السورية، إن "التنظيم الإرهابي، متجاهلاً الحدود بين العراق وسوريا، يسعى إلى توحيد المنطقتين عبر ممر إرهابي أقامه."

"وبحسب تقرير لموقع "ميدل ايست اي" ومقره لندن، حول المشاكل بين تركيا والعراق بشأن تصدير نפט إقليم كردستان عبر ميناء جيهان، رفعت الحكومة التركية دعوى أمام محكمة مقاطعة كولومبيا في العاصمة الأمريكية واشنطن، ضد الحكومة العراقية، تطالب بموجبها بعدم دفع أي تعويضات للعراق، بل أن تدفع بغداد تعويضات قدرها 956 مليون دولار لها.

وورد في التقرير يوم الجمعة، 8 أيلول 2023: وترى تركيا، وفق الموقع، أن العراق سيحصل على تعويضات قدرها 2.6 مليار دولار بعد احتساب الفوائد، فيما تحصل تركيا على 3.5 مليار دولار ."

كل هذا مؤشر على مدى نمو قوة النفوذ التركي في كافة سياسات الإقليم خاصة وفي العراق عموماً، وان السياسة النفطية التي انتهجتها العائلة الحاكمة في أربيل فيما يخص بيع النفط في الأسواق العالمية وبأوامر تركية كانت مغامرة صيبانية بامتياز ويحدث هذا عندما يتوهم الزعيم الأوحده أنه عظيم الشأن ويكتشف تفاهته عندما يرتطم بالواقع المرّ لكن بعد فوات الأوان، والمؤسف أن كثافة الغرور لديه تمنعه من الاعتراف بالإخفاقات المصيرية. فالانتهازيون وما أكثرهم ينتظرون اطلالة الزعيم للبدء بالتصفيق المدوي لإنجازاته العظيمة.

وهذا يفرض على الملايين من المواطنين في الإقليم مواجهة تبعات قرار قيادته التي لا تقيم أي اعتبار لمعاناته.

ما تشهده محافظة السليمانية من تشتت وصراعات داخلية وقلتان أمني واغتيالات متفرقة بواسطة الدرونات لا يمكن فصله عن نشاطات جهاز الأمن – ميت - (M.I.T) التركي وسياسته في اخضاع المحافظة المتمردة لنفوذها المباشر اسوة بسلطة

أربيل. فقد ضَمَّنت أنقرة ومنذ زمن بعيد طاعة سلطة قادة الحزب الديمقراطي الكردستاني، وأقطاب السنة في الموصل ومجموعات كبيرة من حزب البعث المنحل، كما بنت علاقات وثيقة مع عناصر متنفذة في كركوك، وبقيت السليمانية متحفظة وتسعى الى البقاء خارج دائرة الطاعة. ولذا تعاني المدينة من مضايقات تركية بالتنسيق غير المعلن مع جهات كردية محلية.

المدينة الجميلة تعاني من الفوضى والتسيب والتشردم وليس من السهل الدفاع عن نفسها أمام عدو بحجم تركيا وبإسناد مرتزقة وعملاء محليين اعتادوا على الطاعة مقابل الحماية.

بقي العقل التركي منغلِقاً بإحكام لا مجال لتغييره فيما يخص حقيقة راسخة، الا وهي وجود الامة الكردية بملايينها على أرض وطنه التاريخي رغم فرض الانكار الرسمي لهذا الوجود. فبعد ان أحكمت سيطرتها أمنياً واقتصادياً وسياسياً وعسكرياً على مناطق يحكمها مسعود ملا مصطفى وأقاربه، لا يروق لها استقلالية جماهير ومنتقفي السليمانية، وأن عليهم الاقتداء حرفياً بقيادة الحزب الديمقراطي الكردستاني ونهجه السياسي لينالوا الحظوة لدى الحكومة التركية وعطفها!

عند الوصول الى مطار السليمانية الدولي واستقبال الأصدقاء، كانت الخيوط الأولى لأشعة الشمس تلامس القمم والسفوح العالية من الجبال المحيطة بالسليمانية، - بعد ثلاث سنوات من الغيبة - ومع الاقتراب من مدخل المدينة صعب على التعرف على الحي الذي يحيط بمقر المحافظة، لقد تغيرت ملامح المدينة، فقد أقيمت عمارات ضخمة مثل ناطحات السحاب الامريكية بارتفاعات متفاوتة بعضها مؤلف من أربعين طابقاً ومقاربة فيما بينها، مما يخلق جواً من الانقباض النفسي ولم يعد ممكناً التلذذ بروية الخضرة والمناظر الساحرة في الأفق البعيد. هناك استخدام مفرط للأسمنت في البناء بدل الطابوق الأكثر سلامة على الصحة والأكثر ملائمة مع البيئة الطبيعية لكردستان، ويحصل هذا بشكل عشوائي وربما بصمت أو بتواطئ مع وزارة التخطيط، اذ من المؤسف ان بعض الأحياء السكنية تفقد روعتها. وفي مقابل هذا تجد شبكات طرق السيارات داخل المدينة وتلك التي تؤدي الى المدن الأخرى رديئة ومتهالكة وخطرة على سلامة المسافرين.

كان تصوري هو أن حالة من المدّ الثوري تعم الإقليم، لما يعانيه من انكماش اقتصادي وسياسي واجتماعي وأمني مزمن، وأن هناك سخط شعبي ضد السلطة الحاكمة يقترب من الانفجار، في واقع الحال وجدت حالة من الفوضى وليس وضعاً ثورياً. وهذا ما كان محبباً للذين يتوخون التغيير ووضع حدّ لاستهتار النخبة الحالية ومحاكمتها.

الجميع مقتنع من أن النخبة الحاكمة منذ أكثر من ثلاثين عاماً أثبتت عدم أهليتها، وأنها في واقع الأمر عبئ على كاهل الشعب ومصدر تخلف وفقير ومعاناة يجب التخلص منها. فشريحة الموظفين ذوي الدخل المحدود يعانون من تأخير دفع الرواتب أو الاقتطاع من الراتب الأصلي وقد تدنت القوة الشرائية الى حدود المديونية أو يرى المرء نفسه مجبراً على القيام بعمل آخر الى جانب الوظيفة لكي يتمكن من سداد الفواتير وتلبية الحد الأدنى من حاجات العائلة.

تساءلت لماذا لم تلد حالة ثورية حقيقية في المجتمع حتى اليوم؟ هل الظاهرة الثورية مرتبطة بالطبقات والشرائح الفقيرة؟ أو مرتبط بالبرجوازية الوطنية في مرحلة معينة؟ هل الشريحة الكردية المثقفة متواطئة مع السلطة لضمان بعض المصالح والامتيازات؟

كان لابد من التماس مع التيارات السياسية المختلفة لمعرفة الجواب.